

العنوان:	أسطورة العين بين الخير و الشر: دراسة في الأصول
المصدر:	أعمال ندوة الشر: القيمة والخطاب
الناشر:	كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقيروان -مدرسة الدكتوراة
المؤلف الرئيسي:	الديك، إحسان يعقوب
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2013
مكان انعقاد المؤتمر:	القيروان، تونس
الهيئة المسؤولة:	جامعة القيروان. كلية الآداب و العلوم الإنسانية. وحدة البحث
الشهر:	فبراير
الصفحات:	296 - 275
رقم MD:	623539
نوع المحتوى:	بحوث المؤتمرات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	الحسد، الخير و الشر، الأساطير، الديانات القديمة
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/623539

أسطورة العين بين الخير والشر

دراسة في الأصول

إحسان يعقوب الديك

(جامعة النجاح الوطنية/ فلسطين)

Ihsan.deek@yahoo.com

أسطورة العين والتكوين:

للعين تاريخها الميثولوجي في التراث الأسطوري الذي يضرب بجذوره في أعماق الفكر الإنساني، فهي ترتبط بالظلمة الأولى ونشأة الخلق والتكوين، وتمت إلى فكرة الميلاد المائي، حين كان الماء أصل الوجود والكون، منه ظهرت الحياة وعمرت الأرض والسماء.

تجمع الأساطير القديمة على أولية الليل على النهار، وأنه السابق والنهار اللاحق، هو الأصل والنهار الفرع، وتؤكد هذه الأساطير على ظهور النشأة الأولى من العماء الأول، الرحم المعتم الذي حبل بالكون وأنجبه، منه أخذت الكائنات بالتمايز، وعنه ظهرت، "ففي أسطورة التكوين البابلية كانت تعامة هي الرحم المائي المظلم الذي نشأ عنه الكون والآلهة، وفي الأسطورة المصرية نجد "نون" العماء البدني المظلم والرحم المائي الذي أنجب أول الآلهة "رع"، وعند الكنعانيين نجد أنه في البدء لم يكن هناك سوى ربح عاصفة وخواء مظلم، وفي التكوين التوراتي نجد أنه في البدء خلق الرب السماوات والأرض، وكانت الأرض خربة وخالية، وعلى وجه الغمر ظلمة، وروح الرب يرف فوق الماء، وفي الأسطورة السومرية تنبثق الأجرام السماوية من ظلمة العالم الأسفل... وكان القمر أول مولود، ثم إن القمر نفسه يحمل بالشمس وينجبها" (١).

(١) السواح، فراس: لغز عشتار، الأوهية المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، ط٦، دار علاء الدين، دمشق، ١٩٩٦، ٢٧٨، وانظر سفر البداية،

في كتاب المؤلف نفسه، مغامرة العقل الأول، ط١، دار الكلمة للنشر، بيروت، ١٩٨٠.

فمن مادة المياه الأزلية الأولى التي تحركت وشكلت زهرة اللوتس، نشأ الإله الأول/ الإله الطفل/ الشمس، وزهرة اللوتس هي عين رع شخصيا، وحين تفتحت عيناه وأبصر النور تمت عملية الخلق والتكوين فخلق الآلهة السابقة، وصنع كل شيء في الوجود، وأحيا بأشعته الكائنات، تقول الأسطورة المصرية: "لقد جئت إليكم بزهرة اللوتس الواردة من المستنقعات، فهي عين رع شخصيا، ذاك الذي يحقق في ذاته حصيلة الأقدمين، الذي خلق الآلهة السابقة، وصنع كل ما يوجد في هذا البلد، وإذ يفتح عينيه فكل شيء ولد منه، هذا الطفل الذي يتألق في زهرة اللوتس تحيي أشعته كل الكائنات (٢).

في هذه الأسطورة إشارة إلى حضور العين في عملية الخلق والتكوين، حين كان الكون قبل كونه ماء وعماء وظلاما، فعن طريق البصر- الذي كما يقول عنه ابن منظور- العين أو حسها، تم العلم بالأشياء وتأملها، والتعرف إليها، والسيطرة عليها. ولذا سمى الله عز وجل نفسه البصير لأنه يشاهد الأشياء كلها ظاهرها وخافيتها (٣).

وفيها إشارة إلى قطبي الوجود الخير والشر، والتمييز بينهما، ولقد أكد القرآن الكريم علاقة العمى بالظلمات/ الشر، وعلاقة الإبصار بالنور/ الخير في قوله تعالى: (وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ (١٩) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ) (٤)، وتمثلت الأساطير الكونية هذه العلاقة حين صورت صراع قوى الشر البدئية التي كانت تعيش في الظلام، مع قوى الخير التي تمثل الضياء والحياة، لتعطيل نواميس الخلق وخلخلة الكون، ظهر ذلك في صراع تعامة مع مردوك في الأسطورة البابلية، ويم مع بعل في الأسطورة الكنعانية، وست مع أوروريوس في الأسطورة المصرية، وأهريمان مع أهورا مازدا في الأسطورة الزرادشتية.

اعتبرت العين من خلال القوة الفاعلة التي تكمن فيها، ومن خلال علاقتها بالنور والخير رمزا للألوهية في الفكر القديم، فعدت الإلهة الأم، لأن سائر البشر خلقوا من دموعها، فهي إذن أقدم إناث الدنيا، ومن أقدم ربات الخصوبة التي عرفها البدائيون في العصر الحجري الحديث في آسيا وأوروبا على حد

(٢) الماجدي، خزعل، الدين المصري، دار الشروق، عمان: ١٩٩٩، ص ٧٣.

(٣) ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، د. ت، مادة (ب ص ر)

(٤) سورة فاطر، آية ١٩، ٢٠.

سواء^(٥). ومعنى اسم أوزير الذي اشتق منه الإغريق الاسم "أوزيرس Osiris هو "حدقة العين" أو مستقر العين"^(٦)، وكان إيل كبير آلهة الكنعانيين "يملك أربع عيون، منها عينان إلى الأمام، وعينان إلى الخلف، عينان مفتوحتان، وعينان مغموضتان، ومعنى هذا أنه كان في مقدور هذا الإله إبل أن ينام متيقظاً، ويستيقظ وهو نائم^(٧).

أسطورة العين المصرية:

تستمر رحلة العين المقدسة في الأزمان الميثولوجية، من الزمن الكوزوموغوني إلى زمن الأصول والتنظيم في مطلع التاريخ، وتشير الأساطير إلى فعاليات الآلهة في تنظيم الكون وصنع البشر، ومن أقدم أساطير العين الخاصة بخلق مظاهر الطبيعة في الكون تلك الأسطورة المصرية التي توحد بين العين والشمس والقمر حيث تقول: "إنه في مطلع التاريخ لم يكن الإله الأعلى سوى صقر، يمثل جاثماً على مبنى أو خارجاً من المياه الأزلية، وكانت عينه اليمنى هي الشمس وعينه اليسرى هي القمر^(٨)، هكذا كان "رع" وهكذا كان "حورس"^(٩). وهكذا كانت إيزيس - التحلي الأثوي للإله رع - عينه اليمنى، تقول الأسطورة واصفة إياها:

"إنها رع المؤنث، إنها حورس المؤنث، وعين الإله رع

إنها العين اليمنى للإله رع^(١٠).

أما الأساطير التي تحدثت عن علاقة العين بخلق البشر، فمنها ما ذكرناه آنفاً عن الإلهة الأم/ العين في العصر الحجري الحديث التي خلق سائر البشر من دموعها، وفي الأساطير المصرية نرى رع خالق البشر

(٥) كلارك، رندل: الرمز والأسطورة في مصر القديمة، ترجمة أحمد صليحة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٨، ص ٢٢٥.

(٦) تشربي، ياروسلاف: الديانة المصري القديمة، ترجمة أحمد قدرى، دار الشروق، القاهرة، ط ١، ١٩٩٦، ص ٤٠.

(٧) عبد الحكيم: شوقي: مدخل لدراسة الفلكلور والأساطير العربية، دار ابن خلدون، بيروت، ط ١، ١٩٧٨، ص ٤٧.

(٨) كلارك، رندل: الرمز والأسطورة في مصر القديمة، ص ٢١٤.

(٩) تشربي، ياروسلاف: الديانة المصرية القديمة، ص ٦٥، ٦٦.

(١٠) السواح، فراس: الأسطورة والمعنى، منشورات دار علاء الدين، دمشق، ط ٢، ٢٠١١، ص ١٩٥.

أي المصريين عامة "يؤيد ذلك أنه في أسطورة "دمار البشر" فإن كلمة رورمي Rorme التي تطلق على المصريين في اللغة المصرية القديمة- يمكن أن تدل أيضا على دموع الإله رع، وفي مواضع أخرى يشار إلى البشر على أنهم أتوا من عينه، بينما كانت الكائنات الأخرى من صنعه^(١١)، تقول ترتيلة مرفوعة إليه:

"من عينيه المباركتين صدر الرجال والنساء.

ومن فمه صدرت الآلهة.

كثيرة عيونه (= البصير)، وكثيرة آذانه (= السميع)

إنه رب الحياة^(١٢).

ولأن الإنسان تجل من تجليات الآلهة في الزمن، وهو نتاج قوتها، لذا فإنه محكوم بالصراع الكوني الذي نشأ بعد مرحلة الخلق والتكوين، واستمر بين قوة النور والخير وقوة الظلام والشر، وعليه أن يحدد موقعه من هاتين القوتين، ويعبر من خلاله أفعاله عن موقفه منهما، وإلى جانب أي قوة يقف، لأن اليوتوبيا التي صنعتها الآلهة في الزمن الأول بعد مرحلة الخلق لم تدم طويلا، إذ عادت قوى الظلام والشر تمارس دورها على مسرح الوجود، ويستمر هذا الدور مع صيرورة الزمن إلى أن يقف الإنسان في النهاية أمام ميزانه المنصوب له في عالم الآخرة لقياس موقفه من هاتين القوتين، وهكذا تعود الحياة إلى السرمدية التي نشأت عنها، ويستدير الوجود كهيبته يوم خلق.

تدخل العين باعتبارها إلهة أو قوة فاعلة أتون هذا الصراع أو المعتك تتحاذبها هاتان القوتان الكونيتان، وتحضر بدالين متناقضتين، فهي رمز لانتصار الخير على الشر، وهي رمز للشقاء والصحة والحماية وإرضاء المعبود، ففي أسطورة صراع "ست" إله الشر مع حورس ابن اوزير إله الخير يقتلع الأول عين الأخير، ويستردها الإله الحكيم "تحوت" بأن تفل على الجرح فصحت وشفيت، ويأخذ حورس

(١١) تشرني، ياروسلاف: الديانة المصرية القديمة، ص ٦٠

(١٢) السواح، فراس: الأسطورة والمعنى ص ١٩٢.

بالبحث عن أبيه في الأعماق حتى يرفعه من بين الموتى، ويقدم له عينه المصابة التي ضحى بها من أجله ليأكلها ويعيد إليه الحياة مرة أخرى.

ولقد ضاعف هذا العمل تقديس "عين حورس" التي كانت مقدسة من قبل في التقاليد والشعائر المصرية القديمة، حتى صارت رمزا لكل تضحية، وصارت كل هبة وقربة تسمى "عين حورس"، وبخاصة إذا قدمت قربانا للمتوفي، وإذا استثنينا "الجعل المقدس"، فإن العين المقدسة كانت تعتبر أعظم رمز منتشر نال احتراماً عظيماً في الديانة المصرية القديمة، ولذا نرى عشرات الآلاف من العيون المصنوعة من الفخار المطلي ذات اللون الأزرق أو الأخضر وغيرهما مما صنع من الأحجار النفيسة الغالية تملأ متاحفنا، وليست هذه العيون سوى تذكارات ورموز لتلك القصة التي تحدثنا عن حورس وبره بوالده (١٣)، وقد ذهب المصريون إلى أبعد من ذلك، فإنهم لم يتخلوا عن مفهوم بعث "أوزيريس" من خلال التهام عين حورس. فقط، بل وحدوا كل عنصر في الوليمة الجنائزية والإلهية مع "عين حورس" (١٤).

كما كانت العين رمزا للحماية ونصرة المظلوم، والفأل الحسن في جلسة المحكمة المكونة من التاسوع الإلهي للنظر في مطالبة حورس بعرش أبيه، حين قدم إله القمر "تحوت" العين (وجات) إلى الأمير حورس، فوقف الإله "شو" إلى جانبه (١٥).

في مقابل ذلك كانت العين عند المصريين القدماء رمزا للقوة والدمار والموت، وعبروا عنها بالشمس المحرقة، وربطوها بالحية الكوبرا (أدجو) التي كانت توضع على رؤوس الفراعنة رمزا لقوتهم (١٦)، ففي أسطورة "دمار البشر"، وحينما بلغ الإله "رع" من الكبر عتياً، بدأ البشر بتآمرهم عليه، فاستشار الآلهة، فاقترحت عليه أن يرسل عينه التي هي الشمس متقمصة مظهر المعبودة "حتحور" لتسحق المتآمرين،

(١٣) برستد، جيمس هنري: فجر الضمير، ترجمة سليم حسم، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٧٧، ص ١١٧ + ١١٨.

(١٤) تشرن، ياروسلاف: الديانة المصرية القديمة، ص ١٣٦.

(١٥) الماجدي، خزعل، الدين المصري، ص ١٣٢.

(١٦) المرجع السابق، ص ٨٤.

فاستعرضت هذه الآلهة قوتها، وكادت أن تستأصلهم تماما لولا أن تدخل الإله "رع" وأمر بصب الجعة في الحقول، فشربت منها وثملت، مما ألهها عن ضحاياها، وتم إنقاذ البشر من مصير مجهول^(١٧).

وفي خضم صراعه مع ست، يتقمص حورس قورس الشمس الممنح ويتتبع أعداءه موقعا بهم الهزيمة في كل مكان، يقول النص المصري رقم ٣١٦ من نصوص التواييت على لسان العين:

"أنا عين حورس

التي لا يخفى عنها شيء.

التي يثير مرآها الفرع

ربة القتال.. الجبارة المفزعة

التي تتقمص هيئة الضوء الوهاج

التي قضى رع بظهورها

وسبب أتون مولدها.

حيث قال رع:

ما أعظم ما ستكون عليه قوتك

وجبروت سلطانك على أجساد أعدائك!!^(١٨).

ولا غرابة- والحال هذه- أن يكون لعين حورس أثرها وامتدادها وترسباتها في لغتنا وأقوالنا العامية، ذلك أن الكلمة قد تكون أقوى من الحجر المنقوش في حفاظها على الموروث، فالتعبير المصري العامي "ده طلع عيني" يعود في جذوره إلى أسطورة عين حورس التي اقتلعت، وقد يمت الحور- المرتبط بالعين خاصة-

(١٧) تشري ياروسلاف: الديانة المصرية القديمة، ص ٥٩.

(١٨) كلارك، رندل، الرمز والأسطورة في مصر القديمة، ص ٢١٦، ٢١٧.

بصلة بعين حور/ حورس، وقد يكون لقولنا "العين عليها حارس" علاقة بحورس إله الزمن/ الشمس، وبخاصة أن الحرس لغة هو الدهر^(١٩).

ومن الجلي أن الصراع بين الخير والشر في عالم الآلهة هو تمثيل ميثولوجي للصراع بين النور والظلام، بين الشمس عين الإله اليمنى حين تختفي عند الغروب، والقمر عين الإله اليسرى حين يجل ضوءه ليلاً.

ويمكن بعد كل ما سبق تقسيم الدوال الميثية التي وردت للعين في الأساطير المصرية إلى دالين متناقضتين هما:

العين	←	القمر	←	النور	←	الخير	←	الحياة
العين	←	الشمس	←	النار	←	الحية	←	الموت

ومما يؤكد صحة هذا التقسيم، وارتباط العين بالآلهة، وتمثيلها لها في صراعها بين الخير والشر، شيوع معتقد رف العين وربطه بالتنبؤ بالخير والشر، ففي بعض الأوساط الشعبية العربية "إذا رفّت العين اليمنى تنبأ صاحبها بحدوث شر، وإذا رفّت العين اليسرى تنبأ صاحبها بحدوث خير^(٢٠)، ولا يخفى أن العين اليمنى في هذا المعتقد ترمز إلى الشمس، والعين اليسرى ترمز إلى القمر.

ليس في الأساطير الكونية ما يضاهاي الأساطير المصرية في حديثها عن عبادة العين وقداستها وعلاقتها بالآلهة. يقول أدولف أنتس عالم المصريات "خرجت فكرة العين إلى الوجود باعتبارها عين حورس، وكانت تلك عينا ثالثة، بالإضافة إلى عيني الصقر. وعيني الملك^(٢١).

(١٩) ابن منظور: اللسان "حرس"

(٢٠) الجوهري، محمد: علم الفلكلور، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٨٠، ٢/ ٥٨٠.

(٢١) كريم، صموئيل نوح: أساطير العالم القديم، ترجمة عبد المنعم أبو بكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤، ص ٧٠.

كانت هذه العين الثالثة رمزا للألوهية والملوكية في مصر القديمة، وهي الحارسة السحرية للملك، توحدت مع الثعبان اليوراويوس (الكوبرا) الذي "كان مثلها مثبتا إلي أحد التيجان أو عصابة الرأس على جبهة الملك" (٢٢). ثم كان "القمر يسمى أحيانا عين حورس، فكما أن عين حورس سرقت ثم استردت، كذلك القمر يختفي ثم يعود فيظهر كل شهر، على أن عين رع فيما يبدو لم تكن الشمس أبدا، بل أصبحت الشخص الأسطوري الذي اتخذ شخص ماعت بنت رع التي بعثت كعين أتوم رسولا من قبل أبيها كلما ثار عصيان أو اضطراب، ولم يكن ليستقر السلام حتى تعود لموطنها أي إلى مصر والملك السماوي" (٢٣).

أسطورة العين الرافدية:

حينما نرحل إلى الشروق من مصر- إلى بلاد الشام وبلاد ما بين النهرين- لا تحتل العين مكانة واضحة في مجمع الأرباب السومري، ولم تدر حولها الأساطير صراحة كما دارت في أساطير المصريين القدماء، وإن أشير إليها باعتبارها إلهة لها معابد في مناطق غرب الفرات وأعاليه، "فقد عثر لها على معبد العين (في تلك براك على الخابور) على آلاف التماثيل الحجرية المنحوتة بزوج من العيون المحدقة، وعلى رمزها العين المحدقة باعتبارها طاردة للحسد والشر (٢٤)، وكان لها رموز وتماثيل توضع على واجهات البيوت "فمن رمز الإلهة سبيتو (المكون من سبع عيون) استمر تقليد وضع حجرة العيون السبعة إلى يومنا هذا عند مداخل البيوت منعا للحسد وسبيلا إلى طرد الشر (٢٥).

هذا لا يعني أنه لم يكن للعين أي أثر في دياناتهم وأساطيرهم، بل على العكس من ذلك كان لها حضور كبير يفوق حضوره عند المصريين القدماء، واتخذت أسطورة العين عندهم سمنا يتلاءم مع طبيعة بلادهم التي أثرت في طريقة تفكيرهم، ونظرتهم إلى الوجود والكون من حولهم، "ذلك أن موقف الإنسان

(٢٢) كزيمر، صموئيل نوح: أساطير العالم القديم، ص ٧٠.

(٢٣) المرجع السابق، ص ٧١..

(٢٤) الماجدي، خزعل، الدين السومري ص ١٠١

(٢٥) المرجع السابق، ص ١٧٥.

المبكر من ظواهر الطبيعة يفسر الشكل الميثوي للفكر^(٢٦)، فالطبيعة المصرية المستقرة الناتجة عن حركة الشمس المنتظمة في شروقها وغروبها كل يوم، وعن انسياب نهر النيل واهب الحياة، وانتظام فيضانه في مواعيد محددة، جعلت المصري يتجه بعيونه نحو السماء فرأى الشمس عينا لها وعينا للآلهة، وربط ملوكه بها حياة وموتاً. في حين اتجهت عينا ابن الرافدين - ونتيجة لتقلب مظاهر الطبيعة، وأثرها الكبير في حياته - إلى الأرض ملجئاً، لقربها الشديد منه، فرآها مصدراً غامضاً نابضاً بكل ألوان الخصب والتجدد والميلاد، واهبة لكل ما في الكون نسمة الحياة، فاعتبرها إلهة وأما كبرى للآلهة والبشر سواء بسواء، "إذا شاءت حرمت فاعل الشر من النسل، أو منعت عن الأرض كل ميلاد^(٢٧)، يقول هوميروس في إحدى أناشيده واصفاً الأرض الأم:

أيتها الأرض التي أغني

الأم الكونية

إليك يعود أيتها الأرض.

أن تعطي الحياة للأموات

مثلما يعود إليك أن تأخذها^(٢٨).

أدرك إنسان ما بين النهرين أن فكرة الخصوبة هي سر الحياة، وجوهر الوجود، ووجد في المرأة المختصة صنواً للأرض التي أنجبت الإنسان والحيوان والزرع، "فمن جسدها تنشأ حياة جديدة، ومن صدرها ينبع حليب الحياة، وخصبها وما تفيض به على أطفالها هو خصب الطبيعة التي تهب العشب معاشاً

(٢٦) فرانكفورت، هنري: ما قبل الفلسفة، ترجمة، جيرا إبراهيم جيرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٣، بيروت، ١٩٨٢، ص ٢٢.

(٢٧) المرجع السابق، ص ١٧٠.

(٢٨) نعمة، حسن، ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٤، ص ٣٦.

لقطعان الصيد، وثمار الشجر غذاء للبشر، لقد كانت المرأة سرا أصغر مرتبطا بسر أكبر، سر كامن خلف كل التبديات في الطبيعة والألوان، فوراء كل ذلك أنثى كونية عظيمة هي منشأ الأشياء ومردّها"؟^(٢٩).

ويجمع دارسوا الميثولوجيات القديمة على أسبقية العبادات القمرية التي ارتبطت بالمرأة، وسيادة الألوهية المؤنثة، وعلى أسبقية المجتمع الأمومي على المجتمع الأبوي، وعلي انتشار عبادة الأم الكبرى في هيئة إلهة أنثى عند الشعوب القديمة، وإن اختلفت أسماؤها وتنوعت تجلياتها في إنانا وعشتار وإيزيس، وأناياتيس، وعناة، وعشيرة، وأثيرة، وعشتروت، وأفروديت، وفينوس وأناهيد، والعزي. والزهرة^(٣٠).

ولقد تجلت أسطورة العين في بلاد الرافدين أكثر ما تجلت في أساطير الأم الكبرى / إنانا/ عنانا/ عشتار، والوقف المتأنيّة على هذه الإلهة وطبيعتها وتجلياتها، فيها وقوف على أسطورة العين الرافدية، وتأكيد على تماهياها في الأسطورة المصرية، ومما يؤيد ذلك ما يلي:

١—علاقة اسم الإلهة الكبرى "إنانا" بالعين لغة، فاستنادا إلى ظاهرة القلب في العربية حيث يقلب حرف العين همزة، واتكاء على سقوط بعض الحروف في اللغات السامية مثل حرف العين، فإن لفظ إنانا ينطق عنانا، ولا تخفى العلاقة الوثيقة بين عنانا والعين في تقاربهما الصوتي وتكوينهما اللفظي، وبالتالي في تبادلهما في الدلالة على معنى مشترك بينهما.

٢— علاقة إنانا بالنور الذي يمت للعين بصلة وثيقة، تقول صلاة سومرية مرفوعة لها: "سيدة النواميس الكونية، أيتها النور المشع، يا واهبة الحياة وحببية البشر، أنت أعظم من كبير الآلهة آن، وأعظم من الأم التي ولدتك^(٣١)، وعظفا على ما ورد في المعتقدات القديمة من أن العين هي رمز للإله الذي لا ينام، والذي يرى ويعلم ويبعث النور والخير، مثلت الشمس عينه في كثير من الديانات، فكانت "عين حورس عند المصريين، وعين فارونا عند اليهود، وعين أهورا مازدا في فارس القديمة، وعين زوس عند الإغريق، وعين أودين- ووتان عند الجرمن، وعين الله عند العرب، وعين الاله الأعلى عند أقزام اليمانج، وعند البوشمان

(٢٩) السواح، فراس، لغز عشتار، الألوهية المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، ص ٢٥.

(٣٠) انظر: الديك، إحسان: صدى عشتار في الشعر الجاهلي، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، المجلد ١٥، حزيران، ٢٠٠٢، ص ١٤٨

(٣١) السواح، فراس، لغز عشتار. ص ٥٢.

وزنوح غانا (٣٢)، فلا غرابة أن تكون هذه الإلهة النورانية المشعة عين السماء كما الشمس، "فهي كبيرة إلهات ما بين النهرين... وهي التي اكتسبت لقب الوصية على الكون والتي تجلس الملوك على عروشهم، وفي سماء الآلهة، فإن إنانا/ عشتار هي ألمع النجوم وأكثرها تألقاً، يرمز إليها في عالم السماء كوكب الزهرة أي فينوس (٣٣).

٣- لما كانت إنانا أهم الآلهة وأعظمها، لأنها القوة العظمى المحركة لأحداث الكون، فقد تمثلها الإنسان القديم كما رأينا في الزهرة أجمل كواكب المجموعة الشمسية والمعها، وتميزها بالحسن والبهاء والجمال، وقد خلد الأدب البابلي صعود إنانا/ عشتار إلى السماء وارتقاءها عرش الملوكية ممثلة في نجم الصباح/ الزهرة في نشيد ارتقاء عشتار الذي ورد فيه:

"أي اينين كوني الأكثر لمعانا بينهم

وليطلقوا عليك تسمية عشتار - الكواكب (٣٤).

وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه من قبل بأن لا غرابة أن تكون إنانا/ عنانا/ الزهرة/ نجم الصباح عينا للسماء، وبخاصة أننا نرى مثيلاً لذلك في الأساطير المصرية حيث مثل هذا النجم عين حورس المتحولة، "ولم توحد عين رع كجرم سماوي إلا في جمل قليلة في نصوص الأهرام، وقد كنا اعتدنا إدراكها كما لو كانت عين رع موحدة مع الشمس، ولكن تفسيراً دقيقاً لها قد أظهر بغير مرأ أن عين رع كانت نجم الصباح، ولذلك فقد كان نجم الصباح في نصوص الأهرام في نفس الوقت أوزوريس بعد تحوله، وحورس السماوي، والمظهر الأزلي لعين حورس وعين رع" (٣٥).

٤- تنتسب إنانا/ الأنثى/ المرأة في الأساطير الرافدية إلى الإله القمر الذي كتبت له السيادة في تلك الأساطير لعلاقته الوثيقة بخصب الأرض من خلال تتابع الفصول التي هي نتاج لدورته، وارتباط حياة المرأة

(٣٢) سيرنج، فيليب، الرموز في الفن والأديان والحياة، ترجمة عبد الهادي عباس، ط١، دار دمشق، ١٩٩٢، ص ٣٧٨.

(٣٣) الشواف، قاسم: ديوان الأساطير، ط١، دار الساقى، بيروت، ١٩٩٩، ٢/ ٢٤٢.

(٣٤) المصدر السابق، ٣/ ٢٨٨.

(٣٥) كريم، صموئيل نوح، أساطير العالم القديم، ص ٧١.

الفيزيولوجية والسيكولوجية بدورة شهرية موازية لدورة القمر، واعتقاد كثير من الشعوب أنه هو الذي ينفخ في أرحام النساء. فهي ابنته ووارثة مكانه ومكانته تلقت بألقابه "فهي عابرة السماوات، وهي نور السماوات، وهي الساطعة المنيرة، وهي اللامعة (٣٦)، ويؤكد التقارب اللفظي بين لقب القمر عند السومريين (نانا= نن آن) أي ذكر السماء (٣٧) واسم (إنانا- أن آن) هذا الانتساب.

ونرى علاقة القمر بالعين ماثلة في الأساطير المصرية القديمة، ففضلا عن كون القمر العين اليسرى للإله المصري في بعضها، فإننا رأينا إله القمر "تحوت" يقدمها تعويذة حامية لحورس في محكمة الآلهة، ورأينا حارسا لعين حورس في صراعه مع ست، ووصف مسجل محكمة عين شمس القديمة الإله "تحوت" صراحة "بأنه الحفيظ على العين من أجل أتوم أثناء خلو العرش" (٣٨).

٥- يتفرع عن انتساب إنانا إلى القمر باعتبارها أنثى/ حواء، توحيدها مع الحية، ودالتهما معا على التجدد والحياة الماثلين في القمر حين يخلع جلده كما تبدل الحية جلدها، ولقد عبدت الحية وقدسست، واقتربت بنمنمات إلهات الخصب وتساويرها وتمثيلها، باعتبارها تجليا لقوى الخصوبة، وكانت "روح الطبيعة التي تطلب من المرأة أن تبقى لصيقة بها، ولا تنصاع لشرائع الذكر" (٣٩).

الذي دخل في صراع مميت معها حين سادت ديانته، وهذا يفسر لنا تحول رمز الأفعى من الخير إلى الشر في الفكر القديم، وتمايز رموزها وتباينها، فهي رمز للمعرفة والحكمة والطب والخصب والخلود، وهي رمز جهنمي أرضي، رمز للشر والموت والدمار (٤٠).

(٣٦) السواح، فراس: لغز عشتار، ص ٦٦.

(٣٧) ميخائيل، نجيب: مصر والشرق الأدنى، ط ١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦١، ٦/ ١٢٤.

(٣٨) كريمر، صموئيل نوح: أساطير العالم القديم ص ٦٣.

(٣٩) السواح، فراس: لغز عشتار ص ١٤١.

(٤٠) انظر: سيرنج، فيليب: الرمز في الفن، الأديان، الحياة، ص ١١٦ + ١١٧.

فكما توحدت إنانا بالحياة، توحدت بالعين "في نصوص الأهرام المصرية يصل اليوراوس الذي ينفث السم والنار ضد الأعداء حيث يثبت على جبهة الملك كعلامة على الملكية في السموات والأرض"^(٤١).

٦- ويتفرع عن هذا الانتساب إلى القمر توحد إنانا بالبقرة حين ربطت الذهنية القديمة بين قرني البقرة وقرني الهلال، تقول ترتيلة مرفوعة إلى إنانا واصفة إياها بالبقرة:

"أيتها البقرة العنيفة، الابنة الكبرى للإله سن

أي مليكتي أنت أعظم من كبير الآلهة آن"^(٤٢)

ويقول مديح ذاتي لإنانا نفسها:

"حولي يتراكم الآلهة، أنا البقرة البرية واهبة الحياة

أنا بقرة إنليل البرية واهبة الحياة

بقرته البرية واهبة الحياة التي تنصدر الجميع"^(٤٣).

كما ظهرت إنانا ومثيلاتها عند الشعوب الأخرى في الرسوم التشكيلية في هيئة بقرة كاملة، أو في هيئة رأسها أو قرنيها، وصارت القرون في الأساطير الرافدية شارة للملك والألوهية في حين كانت العين هي التي تمثل هذه الشارة عند المصريين القدماء، ولقد جمعت اللغة العربية حارسة التراث السامي في مادتي "قمر" و"قرن" الكثير من صفات الخصوبة والحمل والميلاد والحياة^(٤٤)، ولا تختلف صورة إنانا/ البقرة

(٤١) كزيمر، صموئيل نوح: أساطير العالم القديم، ص ٤٦.

(٤٢) السواح، فراس: مدخل إلى نصوص الشرق القديم، ط ١، منشورات دار علاء الدين، دمشق، ٢٠٠٦، ص ٢٥٠.

(٤٣) المرجع السابق، ص ٣٥٢.

(٤٤) انظر اللسان: قمر وقرن، والديك، إحسان/ الوعل صدى تموز في الشعر الجاهلي، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث، القدس، العدد

الثاني ٢٠٠٣، ص ٣٩٩.

العنيفة، أو البقرة البرية في النصين السابقين عن صورة الآلهة المصرية حتحور/ البقرة السماوية التي أرسل رع عينه في هيئتها لدمار البشر.

٧- وكما كان غياب عين الإله في الأسطورة المصرية تمثيلا لغياب العدالة والاستقرار والنظام والحياة، وحضورها عودة إليها ظهر ذلك حينما انفصلت الإلهة "تفنوت" عين رع وابنته عن أبيها في هيئة لبؤة متعطشة للدماء، وحينما اقتلع ست إله الشر عين حورس، وكذلك كانت إنانا تجسيدا لقوة الإخصاب الكونية، وكان غيابها وعودتها يمثلان دورة الحياة النباتية في الطبيعة، إذ بغيابها عن عالم الأحياء تجف الأرض ويتوقف النسل، وتتعطل كل مظاهر الحياة المتجددة، أما عودتها فكانت مقرونة بعودة الحياة ونمو النبات وكثرة التناسل، وقد مثل الفكر الرافدي ذلك في الأسطورة السومرية "هبوط إنانا إلى العالم الأسفل" التي تناسخت في الأسطورة البابلية "هبوط عشتار إلى العالم الأسفل".

٨- كانت عين حورس الثالثة نتاج انتصار حورس على ست، وتوحيد طريقي القطر المصري على يديه، ودمج الديانة الشمسية الرسمية، بالديانة الأوزيرية الشعبية، فظهر حورس ابنا لرع وابنا لإيزيس^(٤٥)، ومثلت عينه الثالثة عيني الإله في تحولها، فهي تارة ترمز إلى الحياة والخير في صورة إله القمر (تحت)/ العين اليسرى، وطورا ترمز إلى الموت والشر في صورة الإله الشمس وتوحده مع الكوبرا يورايوس / العين اليمنى.

وهكذا كانت إنانا في تحولها، فظهرت في الأساطير الرافدية بوجهيها الأبيض والأسود، الخير والشرير، فهي إلهة الخصب والحب وتمع الحياة، وهي إلهة الموت والحرب والدمار، هي القمر المنير وكوكب الزهرة والنور، ووهي العتم والظلمة وما يخفي، هي الشافية وهي القاتلة، هي ربة الحكمة وهي سيدة الجنون، هي الإشراق بالعرفان، وهي غيبوبة الحواس وسباتها، التقت عندها المتناقضات وتصلحت المتناقضات^(٤٦) فإذا كانت نظراتها تحيي الميت وتشفي المريض، فإن هذه النظرة عينها هي التي قادت دموزي إلى العالم السفلي عالم الموت.

^(٤٥) كرمز، صموئيل نوح، أساطير العالم القديم، ص ٦٢.

^(٤٦) السواح، فراس: لغز عشتار ص ٢٨.

هذه هي صورة الإله الكوني الشمولي "عندما لا يجرد من نفسه ظلا له يحمله مسئولية الموت وشروور الحياة، لا بد له من الإمساك بخيوط القوتين الكونيتين بذراعيه الاثنتين، فباليمنى يمسك قوة الحياة والخير، وباليسرى قوة الموت والشر، وهنا تغدو مسألة استرضاء وجه الإله الأبيض، واتقاء غضب وجهه الأسود، الموضوع الأساسي للعبادة والطقوس، من هنا نستطيع أن نفهم الخصيصتين المتناقضتين للأمم الكبرى أول إله شمولي عبده الإنسان" (٤٧).

هكذا بدت إنانا في كثير من الأساطير الرافدية مزدوجة النفس متحولة إلى إلهة الشر والدمار بعد أن كانت إلهة للخير والحياة "مثلتها الأعمال البابلية تقف على أسدين بعدة الحرب الكاملة" (٤٨)، وهكذا بدت إنانا الكنعانية (عنات/ أنات) بعد مقتل بعل "تحتها الرؤوس مثل الكور، وأكف المحاربين مثل تلال القمح والرؤوس حول خصرها" (٤٩).

وحيثما ظهر الإله الذكر وأخذ ينافس الأم الكبرى على مكانتها، ونسبت إليه كل صفات الخير والخصب والحياة، تحولت إنانا إلى الإلهة السوداء "ليليت" عفريتة القفار التي تظهر في الليل وعرفت بشيطانة الليل أو روح الليل.

ولنا أن نرى - بعد كل ما سبق - في وصلة "يا ليل يا عين" التي نرددها في مقدمة مواويلنا الشعبية - لاحظ أهمية الموالم العراقي، والعراق مهد إنانا - والتي لم نستطع تفسيرها لأنها تحمل حفريات عقدية قديمة، لنا أن نرى فيها توجهها لإنانا التي ملكت قلوب عبادها - إذ النداء يعني التوجه بطلب - يلهجون بذكرها رغبة فيها حين تكون إلهة للخير (يا عين / عنانا) ورغبة عنها ورهبة منها حين تكون إلهة للشر (يا ليل / ليليت).

(٤٧) المرجع السابق، ص ٢٠٧

(٤٨) علي، عبد الواحد فاضل: عشتر وأساءة تموز، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦، ص ٥١.

(٤٩) الخازن، نسيبة وهيبه، اوغاريت (أجيال اديان ملاحم) دار الطليعة للطباعة، بيروت ١٩٨٠، ص ١٣٢.

٩- كانت عين حورس التي قدمها لأبيه أروريس في الأساطير المصرية "رمزا للقربان الأول^(٥٠)، إذ بهذا القربان / العين (النور والخير) عادت الحياة لأوزوريس، وأصلح الظلم، وانتظمت أمور الكون والبشر، أما في بلاد الرافدين فكانت الدموع/ ماء العين، هي التي تقدم قربان للآلهة، ولطالما كانت كذلك في كل الديانات، يقدمها المتعبد على عتبات المعبود، وكلما ذرفت وكثرت وانهمالت، زاد عطف الإله ورأفته على عباده، تقول الكاهنة السورية العظمى ابنة الملك سرجون في ترتيلة مرفوعة إلى إنانا:

"أنا أنجيدوانا سوف أتلوا الصلوات لها.

وأقدم دموعي كالشراب العذب إلى أنانا المقدسة^(٥١)"

وكأن ماء العين المسفوح الذي يقدم شرابا عذبا للإلهة إنانا هنا، معادل موضوعي لماء القلب/ الدم، وكلاهما يدلان على الحياة يتقرب بهما العابد من المعبود، ويفني في طاعته وتضحيته لينظر الأخير إليه بعين الرضى التي تشع نورا/ خيرا، يطرد سحر الظلام/ الشر، كما جاء في ترتيلة مرفوعة لإنانا:

"انظريني يا سيدتي وتقبلي صلواتي.

انظري إلي بإخلاص واستمعي لتضرعي

وعسى أن أحظى بعين الرضى منك.

وأن تنظري إلي بأمانة وجهك المشرق

اطردي سحر الشر من جسدي، ودعيني أرى نورك الساطع^(٥٢).

١٠- وكما وحدت عين حورس مع "ماعت" التي كانت تسمى العين التي لا نظير لها سيدة التاسوع وسيدة الكون، وكانت تشخيصا للنظام الإلهي والسياسي والقانون والعدالة، كذلك كانت إنانا ملكة

(٥٠) كريم، صموئيل نوح: أساطير العالم القديم، ص ٤٧.

(٥١) فاضل، عبد الواحد علي، سومر أسطورة وملحمة، ط ١، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٩، ص ٣٢٦.

(٥٢) المرجع السابق، ص ٣٣٦.

السماء، والقوة العظمى، وربة الحياة، وسيدة "النواميس الكونية المقدسة (مي) التي بلغت مائة ناموس، شملت جوانب الحياة الإيجابية والسلبية، تسلمتها من الإله إنكي في أسطورة حملت اسميهما "أسطورة إنانل وإن كي" (٥٣).

وفي ضوء هذه العلاقات العشر التي سقناها وربطنا من خلالها بين العين المصرية وإنانا/ عنانا الرافدية، نرى أن ما ذهب إليه نجيب ميخائيل في ترجمة هذا الاسم (إنانا) المكون من مقطعين (إن آن) بأنه يعني سيدة السماء حيث (إن = سيدة) و (آن = سماء) (٥٤) ليس دقيقا إلى حد كبير، وإن كانت إنانا سيدة للسماء وملكة لها، ذلك أن معنى (إن) بالسومرية هو سيد وليس سيدة ودليل ذلك ما ورد في أسماء الآلهة الذكور مثل إنكي، (سيد الحكمة والمياه الجوفية) وإنليل (إله الهواء) أما أسماء الإلهات الإناث فكانت تبدأ ب "نن" وليس "إن" مثل: ننكي (سيدة الأرض) وننخرساج (سيدة الجبل) وننماخ (السيدة الكبيرة) وننتو (سيدة الولادة)، وفي ظل هذا التناقض في تذكير وتأنيث المقطع الأول من (إنانا)، إما أن نقول إنها أخذت لقب كبير الآلهة الذي لقب دائما بعين السماء، (إن = عين) أن أنها عينا آن (إينا عينا آن) وفي كلا الحالين تدل إنانا على العين، وهي عنانا والغريب أننا ما نزال إلى أيامنا هذه نحتفظ بهذا التراث في لغتنا الفصيحة في قولنا عنان السماء، حيث نربط بين العنان والسماء، ولعل ذلك يعود إلى أسطورة رفع إنانا/ عنانا إلى مرتبة عالية في السماء إلى جانب آن (٥٥). لأنها كانت معروفة بعينين براققتين (٥٦).

أسطورة العين العربية:

سؤالنا الآن بعد أن رأينا حضور أسطورة العين في مصر وبلاد الرافدين، هل كان للعرب الذين توسطوا بين هذين المصريين، وهاتين الحضارتين، أسطورة للعين مثلهم بهتت معالمها واختفت ملامحها؟

(٥٣) الماجدي، خزعل، متون سومر، ط١، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٨، ص ٢٥٨ - ٢٦١ وفراس السواح، الأسطورة والمعنى، ص

(٥٤) ميخائيل، نجيب: مصر والشرق الأدنى القدم، ٦ / ١٣٠.

(٥٥) ادزارد: قاموس الآلهة والأساطير، ترجمة محمد وحيد خياطة، ط، دار مكتبة سومر، حلب، ١٩٨٧، ص ٥٩.

(٥٦) فاضل، عبد الواحد علي: سومر أسطورة وملحمة، ص ٣٢٨.

إذا عدنا إلى بعض الأوابد العربية القليلة الخاصة بالعين، وربطنا هذا البعض بدواله اللغوية التي وردت في المعاجم واستأنسنا بأساطير الشعوب المجاورة، فإننا نلاحظ ماضيا مقدسا، وتاريخا قديما، وإرثا مجهولا يكثر القليل، ويكمل الناقص، ويسهم في الكشف عن قداسة العين وأسطورتها عند العرب.

ولعل في تعدد، دلالات اسم العين، وتشابك معانيها، وانفتاحها على معانٍ آخر، واختلاف اللغويين في تفسيرها، ولجؤهم إلى التأويل تارة، والحجاز والمماثلة تارة أخرى، ما يدل على جهلهم بأصولها، وعدم وقوفهم على جذورها التي تضرب في أعماق الماضي القديم.

يفسر ابن منظور قول العرب: "فلان عبد عين" بقوله: "هو عبد عين ما دمت تراه فهو كالعبد لك، وقيل: أي ما دام مولاه يراه فهو فاره، وأما بعده فلا"^(٥٧)، ولنا أن نرى غير ما رآه ابن منظور الذي لم يقف على أصل الكلمات والأشياء، وأن نشعر وراء هذا القول معتقدا مقدسا يجعل العين إلها معبودا مثل بقية المعبودات الأخرى، فيكون قولنا "عبد عين" مثل قولنا عبد شمس، وعبد العزى، وعبد اللت وعبد مناة، وبذا نأخذ معنى القول على ما دل عليه أصلا دون اللجوء إلى التشبيه والتحويل والتأويل.

ونراه مرة أخرى يعلق على قول للعرب في الأنواء " وإذا سقطت الجبهة نظرت الأرض بإحدى عينيها، فإذا سقطت الصرفة نظرت بما جميعا"، ويقول: "إنما جعلوا لها عينين على المثل"^(٥٨).

وأني لابن منظور أن يدرك أن العرب - كانوا مثل بقية خلق الله - يعتقدون بأوممة الأرض، ويشخصونها في إلهة كبرى مثل إنانا/ عناتا، وأن لها - حقيقة وليس على سبيل المثال كما قال - عينين، إن شاءت نظرت بواحدة حين ترى الجبهة، وإن شاءت نظرت بهما معا حين ترى الصرفة. ودليل ذلك بقاء هذا المعتقد في التراث الإسلامي، سئل "يحيى بن معاذ أن ابن آدم يدري أن الدنيا ليست بدار قرار، فلم يطمئن إليها؟. قال: بأنه منها خلق فهي أمه، وفيها نشأ فهي عشه، ومنها رزق فهي عيشه، فهي كفاته،

(٥٧) اللسان، عين

(٥٨) اللسان، عين

وهي ممر الصالحين إلى الجنة^(٥٩)، ويقاؤه في تعبيراتنا في مثل قولنا: الأرض أمنا، وعاد الشهيد إلى حضن أمه.

ومن بقايا الأساطير العربية التي تدل دلالة قاطعة على علاقة العين بالنجوم، أسطورة الغميصاء التي يحلو لهم أن يسموها آبدة، وهي إحدى الشعيرين اللتين أشار القرآن الكريم إلى عبادتهما في قوله تعالى: (وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشُّعْرَى)^(٦٠) والعرب تطلق اسم الشعيرين على الشعري العبور التي في الجوزاء، والشعري الغميصاء التي في الذراع^(٦١)، وتزعم العرب أن الغميصاء والعبور وسهيل كانت مجتمعة ولذلك يقال للشعيرين أختنا سهيل، فأنحدر سهيل فصار يمانيا، وتبعته العبور فعبرت المجرة، وأقامت الغميصاء، فبكت لفقد سهيل حتى غمصت، والغمص في العين نقص وضعف، والشعري العبور أشد ضياء من الغميصاء^(٦٢).

ومن حقنا أن نتساءل، أكانت الشعريان (العبور والغميصاء) هما الشمس والقمر من خلال دلالتهما على شدة الضياء والغموص، وأكانت الغميصاء - وهي صفة للعين - هي عين الإله حورس التي تعرضت لاعتداء قوى الظلام والشر، في تفسير لعمليات الصراع بين النوم (الشمس / القمر / النجوم) والظلام؟ لا نريد أن نلوي ذراع الآبدة العربية لتتنطبق على الأسطورة المصرية، ولكنه تساؤل مشروع تفرضه نتيجة تحليل هذه الآبدة العربية التي جمعت بين العين (الغميصاء) والماء (البكاء) والكواكب = النجوم (آلهة النور) سهيل، الشعري، والتشوه = الاعتداء الواقع على العين (الشمس = القمر = النجوم) حتى انتصر عليها الظلام انتصاره الجزئي المؤقت (غمصت).

^(٥٩) الثعلبي، أحمد بن إبراهيم: قصص الأنبياء، (عرائس المجالس) المكتبة الشعبية، بيروت، د.ت، ص ٥.

^(٦٠) القرآن الكريم، سورة النجم، آية ٥٠.

^(٦١) لسان العرب، غمص: وانظر الحوت محمود سليم، في طريق الميثولوجيا عند العرب، ط مطبعة دار الكتب بيروت، ١٩٥٥، ص ١٠١.

^(٦٢) الألوسي، محمود شكري: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، شرحه وصححه محمد مجت الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت، د.

إن هذه المنظومة من الصعب ألا تكون بقايا أسطورة عربية كاملة تخص العين، ولعل نظرة في كتب اللغة فيما جمع تحت معاني "العين" ^(٦٣) تزيدنا تفصيلاً عن تلك الأسطورة العربية الضائعة ^(٦٤)، يذكر علماء اللغة أن كلمة (عين) تطلق على عين الإنسان، وعين الحيوان، وعين الماء، وعين الشمس، كما أن العرب تسمى السحابة عيناً، كما تطلق اللغة على البقرة العين، وعلى الثور الوحشي بديل القمر، رب الخصب والماء اسم المعين. ويصيف الدميري أن العين من أسماء الحيات ^(٦٥).

هذه المنظومة من المعاني المتعددة التي سقناها للعين في اللغة العربية، تضم بين ثناياها دالتي العين الكبيرتين اللتين أشرنا إليهما عند المصريين، وتشير كليهما - بدرجات متفاوتة - إلى العلاقة الوثيقة التي تربطها ب "إنانا/ عنانا" الرافدية، مما يؤكد وحدة النسق الذي قامت عليه ثقافة الشرق القديم، ومما يدل على تماثل الموروثات الأسطورية في دلالتها على المشترك الإنساني، وموقف الإنسان القديم من قطبي الوجود والحياة الخير والشر/ النور والظلام.

ظل النمط الأول أو الأتمودج البدئي ماثلاً في الذاكرة الإنسانية، فمهما بلغ الإنسان من تحضر، ما يزال سلفه البدائي يعيش في أعماق أعماق نفسه، وكما يقول باشيلار "حتى في الذهن النير ثمة مناطق مظلمة، كهوف تبقى في الظلال حية، حتى في الإنسان الجديد تبقى آثار الإنسان القديم" ^(٦٦).

ولعل في حضور العين في معتقداتنا الشعبية حنيناً إلى صوت الأجداد الآتي من الأعماق الذي نحن إلى استرجاع سره الأول على الرغم من خفوته وغموضه وتشظيه في دروب الزمن السحيق، حنيناً إلى أيام كانت العين فيه إلهاً يفيض بالخير، ويصب نغمته على من يريد.

^(٦٣) انظر اللسان "عين"

^(٦٤) انظر: علي، إبراهيم محمد: اللون في الشعر العربي قبل الإسلام قراءة ميثولوجية، جروس بروس، بيروت، ٢٠٠١، ص ٢٤٩.

^(٦٥) الدميري، كمال الدين محمد بن موسى: حياة الحيوان الكبرى، منشورات كتاب الجمهورية، القاهرة، د. ت، ٣/ ٤٧٧.

^(٦٦) جبرا، جبرا إبراهيم: الأسطورة والرمز، ط ٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠، ص ٤٠.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الألوسي، محمود شكري: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، شرحه وصححه محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.
- ادزارد: قاموس الآلهة والأساطير، ترجمة محمد وحيد خياطة، ط ١، مكتبة سومر، حلب، ١٩٨٧.
- برستد، جيمس هنري: فجر الضمير، ترجمة سليم حسن، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٧٧.
- تشرني ياروسلاف: الديانة المصرية القديمة، ترجمة أحمد قدرى، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٦.
- الثعلبي، أحمد بن إبراهيم: قصص الأنبياء (عرائس المجالس) المكتبة الشعبية، بيروت، د. ت.
- جبرا، جبرا إبراهيم: الأسطورة والرمز، ط ٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠.
- الجوهري، محمد، علم الفلكلور، ط ١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠.
- الحوت، محمود سليم: في طريق الميثولوجيا عند العرب، ط ١، مطبعة دار الكتب، بيروت، ١٩٥٥.
- الخازن، نسيب وهيب، أوغاريت (أجيال، أديان، ملاحم) دار الطليعة للطباعة، بيروت، ١٩٨٠.
- الدميري، كمال الدين محمد بن موسى: حياة الحيوان الكبرى، منشورات كتاب الجمهورية، القاهرة، د. ت.
- الديك، إحسان.
- صدى عشتار في الشعر الجاهلي، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، المجلد ١٥، حزيران، ٢٠٠٢.
- الوعل صدى تموز في الشعر الجاهلي، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث، القدس، العدد الثاني، ٢٠٠٣.
- السواح، فراس:
- الأسطورة والمعنى، ط ٢، منشورات دار علاء الدين، دمشق، ٢٠٠١.
- لغز عشتار، الألوهية المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، ط ٦، دار علاء الدين، دمشق، ١٩٩٦.
- مغامرة العقل الأولى، دار الكلمة للنشر، بيروت، ١٩٨٠.
- مدخل إلى نصوص الشرق القديم، ط ١، منشورات دار علاء الدين، دمشق، ٢٠٠٦.

- سيرنج. فيليب: الرمز في الفن والأديان والحياة، ترجمة عبد الهادي عباس، ط ١، دار دمشق، ١٩٩٢.
- الشواف، قاسم: ديوان الأساطير، ط ١، دار الساقى، بيروت، ١٩٩٩.
- عبد الحكيم شوقي، مدخل لدراسة الفلكلور والأساطير، ط ١، دار ابن خلدون، بيروت، ١٩٧٨.
- علي، إبراهيم محمد: اللون في الشعر العربي قبل الإسلام، قراءة ميثولوجية، جروس برس، بيروت، ٢٠٠١.
- علي، فاضل عبد الواحد: سومر أسطورة وملحمة، ط ١، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٩.
- عشتار ومأساة تموز، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦.
- فرانكفورت، هنري: ما قبل الفلسفة، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، ط ٣، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٢.
- كريم، صموئيل نوح، أساطير العالم القديم، ط ١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٤.
- كلارك، رندل: الرمز والأسطورة في مصر القديمة، ترجمة أحمد صليحة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٨.
- الماجدي، خزعل، الدين المصري، دار الشروق، عمان، ١٩٩٩.
- متون سومر، ط ١، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٨.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د. ت.
- ميخائيل، نجيب: مصر والشرق الأدنى، ط ١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦١.
- نعمة، حسن، ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٤.